للتاريخ السياسى :

# ٢ ـ اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

فى ٢٨ فبراير نشرت جريدة « بارى ميدى » حديثاً لمراسلها فى برلين مع الهر هتلر ، مبيناً فيه أن زعيم ألمانيا يود إزالة كل خلاف بين الجارتين وتوليد علاقات الود والألفة بين أعظم شعبين فى أوروبا . وفى اليوم التالى ، أى يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير ، أرسلت حكومة باريس تعاليم إلى سفيرها فى برلين ، طالبة منه الاسراع فى طلب مواجهة « المستشار الألمانى » ورجائه فى إبانة الطرق التى يعتقد أنها تزيل كل خلاف بين الشعبين الألمانى والفرنسى ، وإعلامه بأن حكومة باريس حريصة على إيجاد التفاهم بين الحكومتين

قام مسيو « فرنسوا بونسيه » بما عهد إليه . فقابله « المستشار هتلر » بحضور « فون نيرات » وزير الخارجية ، وأجابه بأن الحكومة الألمانية باذلة جهدها فى درس الموضوع بدقة ، وقريباً تسلم إلى الحكومة الفرنسية اقتراحاتها . وقد طلب الهر هتلر بقاء هذه المحادثات سرية ، تسهيلاً للوصول إلى الغاية ، فقبلت حكومة باريس ما طلب ، وظلت منتظرة خبراً من برلين ، ولقد جاءها الخبر يوم السبت الموافق ٧ مارس ، وعندها أذاعت هذه المحادثات [1]

وفى مساء الجمعة الموافق ٦ مارس أمر الهر هتلر باجتماع « الريشتاك » اجتماعاً فوق العادة ؛ وفى الساعة ١٢ ( فى ألمانيا ) من اليوم التالى وبحضور الوزراء وقف على منبر الخطابة وألقى خطاباً طويلاً ثم تلاه بقراءة المذكرة — mémarandum — التى سلمها فون نيرات إلى كل من سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا قبل القاء الهر هتلر خطابه بساعة ، وقبل أن يترك منبر الخطابة أعلن أنه يحل « الريشتاك » ليتمكن الشعب الألمانى من إبداء حكمه فى أعماله وزملائه خلال السنوات الثلاث الأخيرة ؛ وقد قرأ الجنرال « كيرنك » أمر الحل ، وتعيين موعد الانتخابات فى ٢٩ منه

وكان صوت زعيم ألمانيا قوياً وواضحاً ، ولكن وجهه كان شاحباً ، ودالاً على خطورة القرار الذى اتخذه ، كما أن وجوه الوزراء الصامتة والمفكرة ، إذ ذاك ، تفكيراً عميقاً وقلقاً ، تظهر جلياً خطر الساعة وتخوفهم من العاقبة

وفحوى خطابه أن ألمانيا بلاد سلمية ، تريد العيش بسلام مع جاراتها ، غير أنها لا تقبل ألا تكون متساوية وإياهم فى الحقوق ، وهى تريد نيل هذه المساواة والعمل مع الدول الأخرى على تقوية السلام ، وإن حكومة برلين قد بذلت جهدها فى التفاهم مع الدول الأوروبية ، ولا سيما مع فرنسا ؛ غير أن جهودها لم تقابل بحسن نية ، بل قوبلت بالعمل ضد ألمانيا وحصرها ، وكان آخر هذه الأعمال المعاهدة الفرنسية الروسية التى هى موجهة ضد ألمانيا ، وقال :

« إنها لمأساة مروعة أن نرى فى نهاية السنة التى بذلنا جهوداً شريفة خلالها لنيل ثقة الشعب الفرنسى ، انعقاد تحالف حربى نعلم ابتداءه ولكن لا يمكن التنبؤ عن نهايته

« ان المحالفة الفرنسية الروسية لا تتفق مع معاهدة لوكارنو ؛ وإن تلك المعاهدة تمكن أميراطورية حربية عظيمة من تهديد أوروبا الوسطى عن طريق « التشكوسلوفاكيا » التى عقدت مع الروسيا معاهدة مماثلة للمعاهدة الروسية الفرنسية

« إن روسيا السوفيتية دولة قائمة على مبادىء فلسفية ثورية ، وإن ادخال هذه القوى الحربية الهائلة الى أواسط أوروبا يهدم التوازن الدولى الاوروبى . . . »

ولم يذكر الهر هتلر مشكلة المستعمرات إلا عرضاً ، وأبان بأن حلها سيكون عن طريق المفاوضات الودية ، كى لا يثير الرأى العام البريطانى عليه ، وقد بذل فى سبيل نيل عطفه جهوداً أنتجت الثمر الذى يريده

وبينما كان الهر هتلر يلقى خطابه التاريخى ، كانت الجيوش الألمانية تعبر أراضى الرين وتحتل فى كولون ، دسلدورف

(١) انظر خطاب مسيو سارو إلى الشعب الفرنسى فى ٨ مارس ( الطان ١٠ مارس )

— Dussoldorf — وميتز وغيرها من مدن أراضي الرين

وقد اختلف فى عدد هذه الجيوش ، فهى ثلاثون ألفا حسب التقرير الألمانى ، وتسعون ألفا حسب التقرير الفرنسى ، وما يقرب من ستين ألفاً حسب الرأى الانكليزى

وجدير بالذكر أنه عند ما أعلم الهر هتلر صباح السابع من شهر مارس ، [مسيو فرنسوا بونسيه بعزمه ، أضاف باعتناء بأن احتلال أراضى الرين ما هو إلا رمزى . ولما ثار الرأى العام ولا سيما فى فرنسا على التناقض الجلى بين قول زعيم ألمانيا وبين الواقع ، أرسلت حكومة برلين ، فى ١٤ مارس الى لندن وباريس تصريحاً تقول فيه بأنه لا يوجد فى أراضى الرين إلا (٣٦,٥٠٠) ستة وثلاثون ألفا وخمسمائة جندى ... وإذا علم بأن عدد سكان هذا الأقليم يبلغ خمس عدد سكان ألمانيا أى أربعة عشر مليونا ونصف مليون ، ومساحته ثمن مساحة المانيا ، وفيه مدن كبيرة يظهر من عدد الجنود التى فيه بأن احتلاله لم يكن إلا رمزيا

وأعلنت المانيا فى المذكرة التى قدمتها الى دول لوكارنو الأربع بأنها غير مرتبطة بمعاهدة لوكارنو . وذكرت فى صدرها الأسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار وكلها مبنية على مناقضة المعاهدة الفرنسية الروســـية للوكارنو ، وتقول الحكومة النازية بأنه :

( ١ ) لا جدال فى أن المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة خصيصاً ضد المانيا

( ٢ ) لا خلاف فى أن فرنسا أخذت على عاتقها واجبات ، فى حالة حدوث اختلاف بين المانيا والروسيا تفوق الواجبات التى تضعها على عاتقها عصبة الأمم ، وأنها — أى الواجبات — ترغم فرنسا على اشهار السلاح ضد المانيا ، حتى فى الحالة التى لا تستطيع فيها نيل موافقة عصبة الأمم أو قرار بذلك

( ٣ ) فى مثل هذه الحالة تدعى فرنسا الحق فى أن تقرر وحدها وحسب إرادتها من هو المعتدى — Agresseur —

( ٤ ) لا جدال فى أن فرنسا قد أخذت على عاتقها واجبات نحو الروسيا توجب عليها العمل فى بعض الظروف ، كما لو كان ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة لوكارنو ، التى تستند على ذلك الميثاق غير موجودين

وتدعى المذكرة أن المعاهدة الفرنسية الروسية أوجدت حالة دولية جديدة ، وأزالت النظام السياسى لمعاهدة لوكارنو فى حرفه وفى معناه و « بالتالى فقدت لوكارنو السبب الذى من أجله أنشئت ، وعمليا زال وجودها . ولذلك ترى المانيا أنها غير مرتبطة بهذه المعاهدة الملغاة »

وتنتهى هذه المذكرة بتقديم حكومة برلين الى دول لوكارنو نظاماً سياسياً جديداً ليحل مكان معاهدة لوكارنو وليزيل الاضطرابات السياسية الدولية ، ويولد — فى رأى حكومة برلين — الثقة الدولية التى بدونها لا تتقدم المدنية ولا يستمر السلام . وأهم نقطه :

« أن الحكومة الألمانية تصرح بأنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبلجيكا لانشاء اقليم مشترك غير مسلح ، وأنها توافق من الآن على مقدار امتداده ومساحته ، على شرط المساواة القطعية فى ذلك . والحكومة الألمانية تقترح إيجاد معاهدة عدم الاعتداء Non Agression بينها وبين فرنسا وبلجيكا لمدة ٢٥ سنة ، وأن تكون بريطانيا وايطاليا كفيلتين على ذلك

والحكومة الألمانية مستعدة لامضاء معاهدة تمنع الهجوم الجوى الفجائى ، ومعاهدة عدم الاعتداء مع جاراتها فى الشرق كالمعاهدة التى عقدتها مع بولونيا

وبما أن حكومة برلين قد نالت المساواة فى الحقوق وأقامت سيادتها القومية فى البلاد الألمانية أجمع ، فهى مستعدة للاشتراك فى عصبة الأمم ، وتأمل الوصول فى وقت قريب ، عن طريق المفاوضات الودية الى المساواة فى المستعمرات وفصل عصبة الأمم عن معاهدة فرساى »

وقد صرح مستر ايدن فى مجلس العموم فى ٩ مارس أن السفير الألمانى أعلمه بأن حكومته ما عرضت اشتراكها فى عصبة الأمم إلا لتسر الأنكليز وترضى الرأى العام البريطانى !

* * *

تبع الضربة المسرحية فى برلين اضطراب شديد فى الدوائر السياسية . . . وكانت برلين فى قلق شديد ، تارة ترى أن عملها يذهب الثقة بعلاقاتها الدولية ، وأن حوادث ٧ مارس ستقرب فرنسا من بريطانيا . وتكون نتيجة ذلك الحصر الكامل لحكومة

برلين والضربة القاضية على سياسة هتلر الخارجية ؛ وتارة ترى أن الفرج قريب إذ لندن غير موافقة على اقتراحات باريس فى تطبيق « العقوبات » عليها وإرغامها على سحب قواها الحربية من أراضى الرين . وقد أخذ رجال الحكومة النازية فى إلقاء الخطب وتدبيج المقالات ، وبعضها موجه الى الشعب البريطانى للتقرب اليه ونيل عطفه ، والبعض الآخر يهدد فرنسا إن هى لم تقبل منهاج هتلر وتسير عليه

وكان الهر هتلر فى جميع خطبه يتودد إلى « الرأى العام » وخصوصاً البريطانى ؛ وكان يوجه نداءه إلى « رجل الشارع » ويصرح بأنه يريد التفاهم الخالص مع فرنسا ... وبأنه لا غاية لألمانيا إلا العيش بسلام مع جيرانها ، وأن العمل الذى قامت به ما كان إلا لتحقيق سياسة دولية عملية مبنية على المساواة فى الحقوق وعلى السلام فى أوروبا ، وانعاش الاقتصاديات الدولية ..

ولما قامت الصحف الباريسية باظهار سوء النية المطوى فى منهاج الهر هتلر وفى أنه يريد السلام مع دول ، والحرب مع دول أخرى ... ولما سأل السير أوستن شمبرلين فى مجلس العموم عما إذا كانت النمسا فى الدول التى يريد الهر هتلر عقد محالفات « عدم الهجوم » معها ، اضطر الهر هتلر الى التصريح لمراسل جريدة لندنية بأنه مستعد لعقد معاهدات « عدم الهجوم » مع النمسا وكذلك مع تشيكوسلوفاكيا ...

أما الجنرال كيرنك فكان يحمل علم التهديد ، وقال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ١٧ مارس : ربما أثر التهديد « بالعقوبات » فى ألمانيا عام ١٩٣٢ ، ولكنه لا يؤثر على الشعب الذى تدرب طيلة السنوات الثلاث الأخيرة فى مدرسة النازى ، وإن استعمل الضغط الاقتصادى ضد ألمانيا فانها تدعو الحزب النازى إلى المعركة القاسية التى تولد حماسة مقدسة وتشد عزم الشعب الألمانى وتزيد قواه ، وإن تهديد ألمانيا حربياً لا يثبط عزيمتها ، بل هى تجيب على ذلك : « إنكم كنتم نياما . أما ألمانيا فلم تكن نائمة » إنها قد تسلحت وأصبحت جد قوية ، وهى لا تهاب شيئاً ... وإن الذى يود تهديدها والاعتداء عليها سيدفع ألوفاً من الأرواح بدل كل « بوصة » من الأراضى الألمانية . . . ولا يحق لأحد غير الشعب الألمانى أن يحكم فيما إذا كان عمل ألمانيا قانونياً أم لا (!!) . إن ألمانيا قدمت خدمات جليلة للسلام ، غير أن هناك أمورا لا يمكنها عملها : يجب أن تبقى الجيوش الألمانية فى أراضى الرين

وكان الدكتور كبلس يساعده على رفع ذلك العلم ، فجاول فى الخطاب الذى ألقاه فى ١٠ مارس فى برلين مجيباً مسيو سارو الذى قال بأنه لا يمكن الاعتماد على المعاهدات التى تعقد مع ألمانيا ، اقناع الرأى العام بأن ألمانيا تحترم امضاءها وتحافظ على حرمة المعاهدات التى توقعها ، ودليله على ذلك بأن ألمانيا محترمة معاهدتها مع بولونيا (!) . وقال بأنه يجب على فرنسا أن تعتبر بدقة الحالة الراهنة ، لا بالتشبث ببنود معاهدة لا يمكن للشعب الألمانى احتمالها (!!)

ولقد خرج فى كلامه عن اللياقة الدبلوماسية حين قال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ٢٣ مارس : « إن ألمانيا ترفض العمل ضمن الدائرة السياسية القديمة . سياسة القطع التى تسير حول الحليب الساخن . إن الجيوش الألمانية قد احتلت أراضى الرين ، فيجب أن تبقى هناك برمتها دون أن يسحب منها جندى واحد ... وستزعم الأمم على المفاوضة مع ألمانيا حسب « اقتراحات الهر هتلر » خلال الأشهر القادمة ، أرادت ذلك أو لم ترده .....

( يتبع )

يوسف نجيم
دكتور فى الحقوق

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :
تاريخ الأدب العربى
فى جميع عصوره
بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات
وهذه الطبعة تقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً
الثمن ٢٠ قرشاً عدا أجرة البريد